بعضهم أخفق في مسايرة النظام التعليمي الألماني وآخرون توزعت حياتهم بين الدراسة والعمل وتكرار السنوات

الطلبة المغاربة بألمانيا.. معاناة مزدوجة تحوّل حماسة الدراسة إلى كابوس

■ بون. محمد أسعدي ■

احتضنت ألمانيا الغربية قبل الوحدة، وبالتحديد خلال ستينات القرن الماضي المئات من المهاجرين المغاربة، أغلبهم يتحدر من شمال المغرب. كانت ألمانيا خارجة لتوها من حرب عالمية مدمرة خلفت الملايين من القتلى معظمهم من اليد العاملة، وفي حاجة ماسة إلى العمالة الجنوبية من أجل النهوض بالاقتصاد. جاءت الوحدة بين الألمانيتين بعد أن يئس الشرق الاشتراكي من الوعود العرقوبية لأحفاد لينين فألقى بنفسه في حضن الرأسمالية الغربية في بداية التسعينات.

كانت ألمانيا لا تريد، في البداية، من المهاجرين غير المجهود العضلي لفترة محدودة حتى تتقوى ويشتد عودها الصناعي مرة أخرى، لكن استحالت هذه الهجرة المؤقتة إلى إقامة دائمة مع أبناء الجيل الثاني من المهاجرين. اليوم أصبحت الجالية التركية بألمانيا أكبر الجاليات عددا، بما يزيد عن 3 ملايين شخص، تليها جنسيات أخرى من لبنان والعراق وروسيا وبولونيا وبعض الطليان وأقليات من الأفغان.

يبلغ عدد أفراد الجالية المغربية في ألمانيا حوالي 125 ألف شخص، وتعتبر نسبة الطلبة المغاربة هنا من أدنى النسب بين القوى الاقتصادية الأوربية البارزة كفرنسا وإنجلترا وإسبانيا ويرجع ذلك إلى عدة أسباب: «يفضل الطلبة المغاربة البلدان الأوربية الناطقة باللغة الفرنسية أو الإسبانية، وبدرجة أقل الإنجليزية» يقول إدريس طالب حصل هذه السنة على شهادة الهندسة الطبية من جامعة بون. مضيفا بلكنة قاسية لأخبار اليوم أن «الدراسة بألمانيا تتطلب مجهودا كبيرا في البداية، لأن عائق اللغة واختلاف المناهج بين النظام التعليمي الفرنكوفوني في المغرب والنظام الألماني الفريد يطرح تحديات كثيرة أمام الطلبة».

أخبار اليوم التقت طلبة آخرين أكدوا لها صعوبة التوفيق بين الدراسة من جهة، وبين العمل لتغطية تكاليف السكن والتعليم، من جهة أخرى. يقول إدريس «مع الأسف يعتقد بعض المغاربة أن كل من يأتي إلى للدراسة بالخارج هو بالضرورة من الأغنياء أو ينتمي إلى طبقة ميسروة». مؤكدا على أن «أغلب الطلبة المغاربة من الطبقة الوسطى، ويعانون الأمرين من أجل مواصلة الدراسة بسبب تكاليف المعيشية المرتفعة وتحدي التوفيق بين العمل لتوفير مصاريف السكن الجامعي والدراسة والاستعداد للامتحانات الدورية والنهائية».

يونس، هو الآخر طالب مغربي قدم إلى ألمانيا قبل 7 سنوات، وحصل على دبلوم في الهندسة. يتخوف من أن يرجع إلى المغرب بالدبلوم الذي حصل عليه السنة الماضية ويخفق في الحصول على المعادلة المناسبة من لدن وزارة التعليم العالي. «أكثر ما أخاف هو أن يضيع مجهود أربع سنوات عند معادلة الدبلوم» يقول يونس المتحدر من الدار البيضاء.

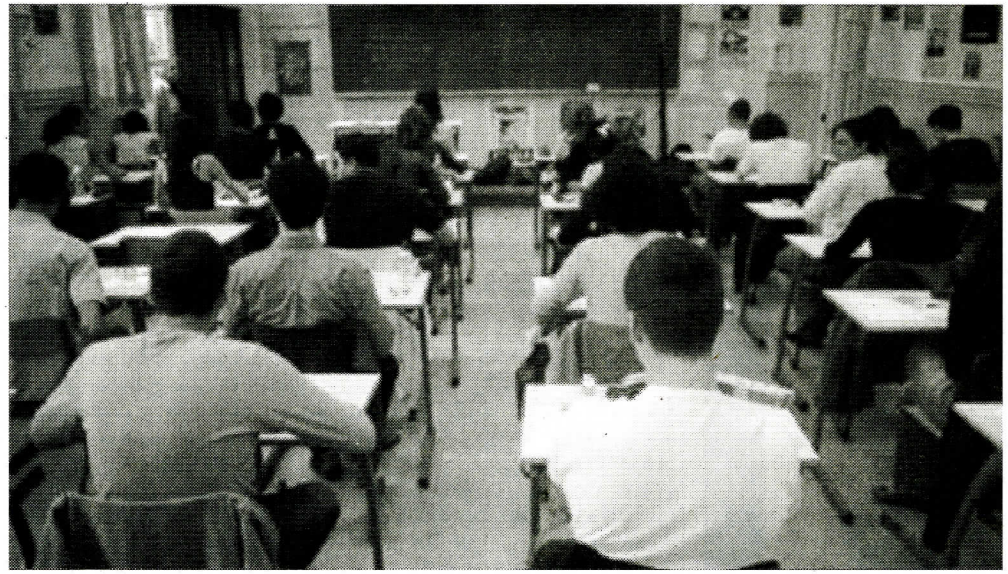

فصل دراسي بالخارج

مردفا «في الحقيقة أنا درست الهندسة لمدة أربع سنوات فقط، وهذا لا يعني غير الإجازة المهنية في المغرب، لأن معادلة الدبلومات تتم في الغالب حسب السنوات».

في الأسابيع الأولى من تعيين حكومة عبد الإله بنكيران، قام «تجمع الطلبة المغاربة بألمانيا» بمراسلة لحسن الداودي، وزير التعليم العالي، حول مشكل معادلات الدبلومات الألمانية بالمغربية، خاصة في تخصصات مثل الهندسة التي تدرس في أربع سنوات، ويتخرج الطالب بلقب مهندس في معظم التخصصات. وجاء جواب الوزير مطمئنا إياهم بأن «معادلة الشواهد المحصل عليها من طرف الجامعات الألمانية سيتم حسب المسطرة المعمول بها في الوزارة، والتي تقتضي دراسة كل شهادة حالة بحالة».

ويضطر كل الطلبة المغاربة في ألمانيا إلى إعادة الباكالوريا المغربية بضرورة اجتياز سنة واحدة من الأقسام التحضيرية. وتعتبر اللغة الألمانية عصب الحياة في هذا البلد، يؤكد الطلبة لـ«أخبار اليوم»، فقبل الحصول على الفيزا يكون الطالب مجبرا على الحصول على شهادة في معهد غوتة تؤهله للدراسة باللغة الألمانية واجتياز سنة تحضيرية لتأهيل الطالب للاندماج بسهولة في النظام التعليمي الألماني.

يؤكد عبد الله وهو طالب جامعي، تخصص الميكانيك، يتحدر من مدينة أكادير أن «الطلبة المغاربة يجدون صعوبات كثيرة في المواد المخبرية ويتفوقون على الجميع في الرياضيات». مضيفا «يرفض الطلبة الألمان الاشتغال مع العرب إجمالا وليس المغاربة فقط، بسبب ضعفهم في المواد التطبيقية كالفيزياء مثلا، ويخلق هذا بعض العقد عند الطلبة الجدد».

قبل مدة أسس الطلبة المغاربة هنا موقعا إلكترونيا باسم «دايزين Dayzine.de»، وهو عبارة عن تجمع للمغاربة في ألمانيا، يعمل من أجل مد يد المساعدة إلى الطلبة المغاربة الجدد وتغطية الحياة الطلابية التي يعيشونها في ألمانيا. ويسعى الموقع كذلك إلى تمكين الطلبة المغاربة الجدد من التوجيه والنصح لتجنب كبوات أفواج كثيرة منهم، جاءت بغرض المكوث أربع سنوات فأصبحوا في سبع أو ثماني سنوات موزعة بين الدراسة والعمل وتكرار السنوات.

منذ حوالي شهر قدم عبد العزيز رباح، وزير النقل والتجهيز، إلى مدينة دسلدورف من أجل حضور لقاء تواصلي مع الجالية المغربية بألمانيا فاغتنم الطلبة الفرصة ليسلموه ملفا مطلبيا عريضا، يبدأ باقتراح تخفيض ثمن الطائرة للطلبة وينتهي بالإلحاح على زميله في الحكومة لحسن الداودي لحل مشكل معادلة الشواهد الألمانية بالمغربية اعتبارا لقيمة الشواهد وليس لعدد السنوات المدروسة.